

## قبول المسيح والإقرار بالثالوث القدوس والدهن بزيت الغاليلاون

### • قبول المسيح والإقرار بالثالوث القدوس

بعد جحد الشيطان، تأتي ثلاث مراحل متتابعة وهي:

(١) الاعتراف بالمسيح.

(٢) الإقرار بالإيمان.

(٣) الاستجابات الثلاثة (بحسب الطقس الحالي).

فنقرأ في كتاب المعمودية ما يلي: ”يَجُولُ (طالب العماد أو الإشبين) وجهه إلى الشَّرْقِ، ويده مرفوعة إلى فوق، (أو كلنا يديه) ويقول: ’أعترفُ لك أيها المسيح إلهي، وبكلِّ نواميسك المخلصة، وكلِّ خدمتك المحيية، وكلِّ أعمالك المعطية الحياة‘.

ثمَّ يلقِّنه (الكاهن) الإيمان قائلاً: ’أؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط الكُلِّ، وابنه الوحيد يسوع المسيح ربَّنَا، والروح القدس المحيي، وقيامه الجسد، والكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسوليَّة آمين.

ثمَّ يسأله (الكاهن) ثلاث مرَّات قائلاً: ’أمنتَ على هذا الطُّفل؟‘

فيجاوبه ثلاث مرَّات قائلاً: ’أمنتُ‘.

### أولاً: معنى التَّحوُّل ناحية الشَّرْقِ

أول من أشار إلى الاتجاه للشَّرْقِ في الصَّلَاة، هو العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، حيث يقول عن المسيحيين: [هُم يُصَلُّون ناحية الشَّرْقِ، لأنَّ الشَّرْقِ هو ميلادنا الرُّوحي، ومنه يشرق النُّور أولاً ويسطع في الظُّلْمَة. والشَّرْقِ رمزٌ ليوم المعرفة الحقيقيَّة الذي يُشرق مثل الشَّمْسِ ويضيء على الذين دفنوا في ظلام الجهل] (المتنوعات ٨: ٨٥).

ويقول العلامة ترلتيان (١٦٠-٢٢٥م) في ذلك:

[الشَّرْقِ هو رمزٌ للمسيح. ولذلك فإنَّ كنائسهم وصلواتهم تتَّجه ناحية الشَّرْقِ] (ضدَّ فالتيان: ٣).

ويقول القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م):

[إنَّه تقليد قديم غير مكتوب، أن تتَّجه للشَّرْقِ عندما نُصَلِّي. ولكننا أيضاً نتطلَّع إلى وطننا القديم الفردوس الذي

غرسه الله في شرق عدن] (مقالة عن الروح القدس: ٢٧).

ويقول القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م):

[تتحوَّل من الغرب إلى الشَّرْقِ ناحية النُّور، مُعلنًا رفض مملكة الظُّلْمَة وقبول الانتساب لمملكة النُّور]<sup>(١)</sup>.

## ثانياً: معنى رفع اليدين

الطقس القبطي هو الوحيد بين الطقوس الشَّرقيَّة الذي يحتفظ بعادة رفع اليدين إلى فوق أثناء كلمات الانضمام للمسيح والإقرار بالإيمان، طبقاً لتقليد إسكندري يعود إلى القرن الثالث الميلادي، كتعبير عن تسليم كلِّ الحياة للمسيح له المجد.

## ثالثاً: المراحل الطَّقسيَّة لقبول المسيح والإقرار بالثالوث

- لدينا في هذه المرحلة من الطَّقس، فعلان ليتورجيَّان، يتميَّز كلُّ منهما عن الآخر تماماً:
- الفعل الأوَّل هو: "الاعتراف بالمسيح". وهو يختص بالأقنوم الثَّاني من الثالوث القدوس. ويُعرَف هذا الفعل اللِّيُتورجي في الطَّقس البيزنطي باسم "الاتحاد بالمسيح"  $\sigma\upsilon\nu\tau\alpha\epsilon\iota\varsigma$  وفي الطَّقس الأنطاكي باسم "الخضوع للمسيح".
  - الفعل الثَّاني هو: "الإقرار بالإيمان"  $\delta\omicron\mu\omicron\lambda\omicron\gamma\iota\alpha$ . وهو إقرار بالثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس<sup>(٢)</sup>.

وهو ما نراه واضحاً كلِّ الوضوح في كنيسة الإسكندريَّة منذ القرن الثالث الميلادي على الأكثر، وذلك من الرِّسالة الرَّابِعة عن المعموديَّة التي أرسلها البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م) إلى القس ديونيسيوس الرُّوماني الذي صار أسقفًا لروما بعد زمن هذه الرِّسالة بوقت قصير، يخبره فيها عن نوباتوس الهرطوقي فيقول له:

[... وعلاوة على ذلك، فإنَّه (أي نوباتوس) يرفض المعموديَّة المقدَّسة، ويقلب الإيمان والاعتراف اللَّذين يسبقانها  $\tau\eta\nu\ \pi\rho\delta\ \tau\omicron\upsilon\ \lambda\omicron\upsilon\tau\rho\upsilon\ \pi\acute{\iota}\sigma\tau\iota\nu\ \kappa\alpha\iota\ \delta\omicron\mu\omicron\lambda\omicron\gamma\iota\alpha\nu$ ] <sup>(٣)</sup>.

وهذا ما نجده واضحاً أيضاً عند القدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) الذي يعبر عن الطَّقس الأنطاكي حين يقول:

[احفظوا عهدكم الذي كتبتموه مع الرَّب، ليس بجزء وورق، بل بالإيمان، والاعتراف به، متيناً راسخاً]<sup>(٤)</sup>.

وهو نفس ما يقوله القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م):

[التَّسليم الخاص بالمعموديَّة، يَحْتَمُ الإيمان والاعتراف بصيغة معروفة عند معموديتنا]<sup>(٥)</sup>.

أمَّا كتاب "الرِّئاسات الكنسيَّة" المنسوب لديونيسيوس الأريوباغي، والذي يعود للقرن الخامس الميلادي، فيقول: "يُنقل الأُسقف الموعوظ إلى الشَّرْق، ويأمره أن ينظر إلى السَّماء ويرفع يديه ويعترف بالمسيح، وبكلِّ الأقوال المقدَّسة المسلَّمة من الله. ويلي ذلك اعتراف مثلث يتبع مباشرة صيغة الاتحاد بالمسيح". ويوضِّح أن هذه هي الممارسة المستقرَّة في كلِّ الشَّرْق. ثمَّ يقول: "... فإنَّ المعمد يُعلن صيغة الإيمان، وطبقاً لتعليماته فإنَّ طالب المعموديَّة يردُّد من ورائه ما يقوله".

وهذا هو ما تراعيه الطَّقوس الشَّرقيَّة بدقَّة، باستثناء الطَّقس الماروني الذي لا تحتل فيه هذه المراسيم مثل هذه الأهميَّة.

إذا؛ الاتحاد بالمسيح  $\sigma\upsilon\nu\tau\alpha\epsilon\iota\varsigma$  أو الاعتراف به، والإقرار بالإيمان  $\delta\omicron\mu\omicron\lambda\omicron\gamma\iota\alpha$  هما فعلا ليتورجيَّان متلازمان يعقبان جحد الشيطان مباشرة، حيث يصير الدَّهن بزيت الاستقسام بعد الإقرار بالإيمان، وذلك بحسب الطَّقس القبطي الحالي. أمَّا الطَّقس القبطي القديم بحسب ما تشرحه لنا القوانين المصريَّة، أي "قوانين هيوليتس"، وأيضاً "قوانين الرُّسل" في تقليد الكنيسة القبطيَّة، ففيه يكون الدَّهن بزيت الاستقسام بعد جحد الشيطان مباشرة، وقبل الاتحاد بالمسيح والاعتراف بالإيمان.

<sup>٢</sup> بعض كُتب الطَّقس القبطيَّة في شرحها لطقس المعموديَّة، تخلط بين هذين المسمَّين المستقلَّين كلِّ منهما عن الآخر، إذ تضعهما تحت عنوان واحد هو "الاعتراف بالإيمان".

<sup>٣</sup> انظر: تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري (٨:٧)، مرجع سابق، ص ٣٥١

<sup>٤</sup> تعليم المعموديَّة ٤: ٣٠.

<sup>٥</sup> De spiritu sancto, c. xxvii, 67.

## (١) الاعتراف بالمسيح

”الاعتراف بالمسيح“ أو ”الاتحاد بالمسيح“ أو ”الخضوع للمسيح“، يعني قبول المسيح مخلّصاً وملكاً لحياتنا. فهذا هو إعلان الولاء للمسيح ولتعاليمه وأعماله المعطية الحياة. وهو في ذلك يشبه القَسَم الذي يؤدّيه الجنود مرّة واحدة وإلى مدي حياتهم كلّها. إنّها ليست كلمات تنطقها الشّفاة، لأنّها صادرة من أناس اختاروا طواعية من كلّ قلوبهم وبكامل إرادتهم أن ينضمّوا للمسيح وملكوته، حاسبين مقدار التّبعات الملقاة على عاتقهم من جرّاء هذا الانضمام إلى مملكة النّور، وما تثيره عليهم مملكة الشيطان والظلمة من حرب، حتى وإن انفصّت عنهم إلى حين.

ومن أبدع ما قاله آباء الكنيسة عن طقوس المعموديّة، هو ما يقوله القديس غريغوريوس النّيسي (٣٣٠-٣٩٥م) أمام شعب القُسطنطينيّة سنة ٣٨٠م، وأمام معارضيه من الأريوسيين:

[... أنا أعلم بمن اعترفتُ، ومن جحدتُ، وأدركُ بمن ارتبطتُ οἶδα τίني ὠμολόγησα καὶ τίني ἀπεταξάμην καὶ [τίني συνταξάμην].<sup>(٦)</sup>

فإن كانت الطّقوس القبطيّة والسّرّيانيّة والبيزنطيّة تركّز على الاعتراف بالمسيح والخضوع له والاتحاد به، إلى جانب الإقرار بالإيمان بالثالوث، فلا يوجد لدي الطّقوس الأرمني صيغة للاعتراف بالمسيح أو الاتحاد به، حيث يكتفي هذا الطّقوس بالإقرار بالإيمان بالثالوث مردّداً في ذلك قانون إيمان نيقية بأكمله.

## (٢) الإقرار بالإيمان

في الطّقوس القبطي يُلقن الكاهن الموعوظ أو إشبين الطفل قانون الإيمان قائلاً: ”أؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط الكل وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا والروح القدس المحيي وقيامه الجسد والكنيسة الواحدة الوحيدة المقدّسة الجامعة الرّسوليّة آمين.“  
ويوضّح القديس غريغوريوس النّاطق بالإلهيات (٣٢٩-٣٨٩م) أنّ الاعتراف بالإيمان هو اعتراف بالثالوث القدوس فيقول: [احفظ لي الوديعة الصّالحة التي هي الاعتراف بالآب والابن والروح القدس]<sup>(٧)</sup>.

ويقول أيضاً:

[يجب أن نُعمّد كما تسلّمنا، وأن نؤمن كما تعمّدنا، وأن نمجّد كما آمنّا بالآب والابن والروح القدس، محافظين على التّرتيب الذي تسلّمناه من ذات صوت الرّب الذي قال: «اذهبوا وتلمذوا كلّ الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»]<sup>(٨)</sup>.

## (٣) الاستجابات الثلاثة

بحسب الطّقوس القبطي الحالي: يسأل الكاهن المعمّد أو الإشبين ثلاث مرّات قائلاً: آمنت؟ أو آمنت على هذا الطّفل؟ فيجيبه ثلاث مرّات: آمنت.

وعن هذه الإجابة المختصرة بعينها يقول القديس كيرلس الكبير:

[من الضّروري أن نفهم أنّنا نظهر لله اعتراف الإيمان أيضاً، عندما سُئلنا من قِبَل الرّجال المنوط بهم العناية بالأمور المقدّسة والكهنوت، فأجبنا ”آمنت“ وقت نوال العماد المقدّس]<sup>(٩)</sup>.

وينفرد الطّقوس القبطي بتريديد المعمّد - أو من ينوب عنه - لكلمة ”آمنت“ ثلاث مرّات في نهاية إعلان الإيمان، تقابلاً

<sup>6</sup> PG xxxv, col. 236.

<sup>7</sup> PG xxxii, col. 417.

<sup>8</sup> PG xxxii, col. 421.

<sup>9</sup> PG lxxiv, col. 49- 50 ; Cf. DACL, t. 2, p. 265.

مع مرّات الجحد الثّلاث "أجحدك" التي ردّدها في نهاية جحد الشيطان. هذه هي المرّة الأولى التي يُعلن فيها المعمد - أو من ينوب عنه - إيمانه جهراً على مشهد من كثيرين. فيا لها من لحظة مهيبة.

إنّ الوثائق القديمة، نجد فيها أنّ الأسئلة تكون أكثر طولاً، وهي في صيغتها المطوّلة في "التقليد الرّسولي" لهيبوليتس و"قوانين هيبوليتس" و"المراسيم المصريّة" قد اختصرت في الطّقس القبطي الحالي إلى سؤال من كلمة واحدة "هل آمنّت؟". والإجابة أيضاً في كلمة واحدة "آمنت". هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فالأسئلة تكون في الطّقس القديم بين الغطسات الثّلاث في الماء وليس قبلها كما في الطّقس الحالي، ولذلك سوف أعود لهذه الاستجابات الثّلاثة مرّة أخرى، عند الحديث عن الغطسات الثّلاث، لأنّ هذا هو موقعها القديم في الطّقس.

ولقد أشار القدّيس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) إلى هذه الأسئلة والأجوبة، شارحاً ما تعنيه، والعُمق الذي يكمن من ورائها، وذلك في تفسيره للإصحاح الحادي عشر من إنجيل القدّيس يوحنا، تعقيباً على قول السيّد المسيح لمرثا: «أتؤمنين بهذا؟» (يوحنا ١١: ٢٧). وذلك في معرض حديثه عن معجزة إقامة لعازر من الموت، فيقول<sup>(١٠)</sup>:

[السّرّ (أي سرّ المعموديّة) يتطلّب الإيمان به والتّسليم له مؤسساً على هذه الطّريقة (أي طريقة السؤال والجواب) نموذجاً للكنايس. إذاً، فينبغي ألاّ نرمي بكلماتنا في الهواء، عندما نعترف بالسّرّ الجليل، بل بالحري نثبّت جذور الإيمان في القلب والعقل، حتى تحمل ثمراً يُثمر في اعترافنا، مؤمنين بهذا دون تردّد أو ارتياب... إنّه من الضّروري أن نوقن أنّنا نعترف بإيماننا لله برغم أنّنا نُسأل بواسطة أناس أنيط بهم خدمة الأقداس، وذلك عندما نقول: "أؤمن" عند منح المعموديّة المقدّسة ...

ويجب أن نلاحظ أنّه كما كان لعازر مطروحاً ميتاً، ولأجله وبطريقة ما، قد طُلب من المرأة (أي أخته) سنداً للإيمان، فمثال ذلك أيضاً نجد بين الكنايس. لأنّه عندما يُحضّر طفلٌ مولودٌ حديثاً new born babe إمّا لقبول الدّهن بزيت الاستقسام، أو لقبول المعموديّة المقدّسة كاملة، فإنّ الشّخص الذي يُحضره يجيب عنه بصوت مرتفع "آمين". ونيابة عن هؤلاء الذين أصيبوا بأمراض تقترب بهم من حافة الموت، وذهبوا لينالوا المعموديّة وهم على هذه الحال، فإنّ بعض الأشخاص يرّدون نيابة عنهم جحد الشيطان، ويعلنون نيابة عنهم ارتباطهم بالمسيح كعمل محبّة، عندما يعيرون أصواتهم لأولئك الذين لا يقدرّون على الكلام لمرضهم. وهو الأمر الذي نراه قد حدث في حالة لعازر وأخته. فمرثا بحكمة وفطنة، سبقت فنثرت الاعتراف بالإيمان، لكي تعود بعد ذلك فتحصد ثماره (أي قيامة أخيها لعازر من الموت)<sup>(١١)</sup>.

هنا وضوح - يأتي من القرن الخامس الميلادي - بوجود العناصر الليتورجية التّالية: جحد الشيطان، الارتباط بالمسيح، الاعتراف بالإيمان، والاستجابات. بالإضافة إلى وضوح معموديّة الأطفال، وضرورة الإيمان الذي يسبق المعموديّة سواءً كان إيمان الموعوظ الذي يقدر أن يجيب عن نفسه، أو إيمان من يجيب عن الطّفل المعمد، أو المريض الذي لا يقدر على الكلام.

كما يتّضح لدينا أيضاً أنّ الدّهن بزيت الاستقسام وهو المرحلة الأخيرة من مراحل جحد الشيطان، كان لا يزال طقساً مستقلاً عن طقس التّعميد نفسه، أي التّزول في مياه المعموديّة، وفي كلا الطّقسين، يظهر لدينا أنّ الإشبين يجيب نيابة عن المعمد "آمين" بصوت مرتفع.

وبعد الاستجابات الثّلاثة، يقول الشّماس: من الرّب نطلب.

فيقول الكاهن صلاة يرد فيها: "أيها السيّد الرّب الإله ضابط الكلّ أبو ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح الذي خلق

<sup>10</sup> PG lxxiv, col. 49- 50.

<sup>11</sup> Our Father Among The Saints Cyril, Archbishop of Alexandria on The Gospel According To John, London, 1885, Book VII, xi, p. 25- 27.

كلّ شيء. ربُّ السَّماء والأرض ... ثبّت طاعة عبيدك هؤلاء، ولتكن فيهم قوّة لكي لا يعودوا دُفعة أُخرى إلى ما تركوه. وطدّ إيمانهم لكي لا يفرّقهم منك شيء. ربّتهم على أساس إيمانك الرّسولي، وادعهم إلى نورك الطّاهر، واجعلهم أهلاً لنعمتك العظيمة. عرّهم من عتيقهم وجدّد حياتهم. املاهم من قوّة روح القدس، بوحدانيّة وعزاء ابنك الوحيد. لكي لا يكونوا بعد أبناء الجسد بل أبناء الحق، ويصيروا عبيداً حكماء وأمناء بالمسيح يسوع ربّنا ...”.

وهذه الطّلبة الموغلة في القدم، والتي لها نظير في الطّقس البيزنطي يصل أحياناً إلى حدّ التطابق مع الطّقس القبطي، توضّح أنّ الثّبات في الإيمان الذي أعلنه الموعوظون للتّو، وديمومة ثباتهم في النّعمة التي قبلوها، ليست من اجتهادهم الذاتي خلواً من معونة إلهيّة. لكنّها قوّة الله، وقوّة روحه القدس التي تحفظ أبناء الحق في النّور الطّاهر، نور المسيح.

#### (٤) إحناء الرّكب للمرّة الثّانية

بعد الصّلاة السّابق ذكرها، يحنون رُكبهم، ويطلب الكاهن عنهم قائلاً:

”أيها السيّد مخلّصنا محب البشر، صانع الخيرات، أنت وحدك الذي يكملّ لك هذا السرّ ... عبيدك الذين التجأوا إليك واحنوا لك رُكبهم ... فتش خزائن نفوسهم وأضئ عيون أفهامهم بنور المعرفة. كلّ سحر، وكلّ تعزيم، وكلّ فعل شيطان، ردّه عنهم. وكلّ بقايا عبادة الأوثان وعدم الإيمان، اطرحها من قلوبهم. هيئ أنفسهم لكي يقبلوا روح القدس ...“.

#### • الدهن بزيت الغاليلاون

هذه هي المسحة الثّانية بالزّيّت في الطّقس القبطي. والذي يُسمى زيت الاستقسام، أو زيت الاستحلاف، أو زيت الغاليلاون أو الغاليليون. وهو الزّيّت التي اتّفقت كلّ الطّقوس على تسميته زيت الفرّح، أو زيت الابتهاج.

فالمسحة الأولى هي مسحة الموعوظين في بدء صلوات طرد الشياطين بالزّيّت السّاذج، وهذه المسحة الثّانية في الطّقس القبطي تكون بعد جحد الشيطان والاعتراف بالمسيح والإقرار بالإيمان بالتألوث، وهي تسبق قدّاس تبريك الماء. فهي المسحة التي يُمسح بها جسد الموعوظ قبل نزوله إلى مياه المعموديّة.

وهذه المسحة السّابقة للعماد مباشرة، هي ذات تقليد عريق، ومشهود لها منذ القرن الثّالث الميلادي، ومعروفة في جميع الطّقوس الشّرقيّة باستثناء الطّقس الأرمني!

وأشار إليها خولاجي القديس سرايون تحت عنوان: ”صلاة لدهن الذين يقبلون المعموديّة“ Εὐχή εἰς τὸ ἄλειμμα τῶν βαπτισομένων. أمّا كلمة βαπτισομένων فهي اسم فاعل مضارع مبني للمجهول، وتفيد أنّ المسحة المشار إليها، هي مسحة سابقة على المعموديّة، حيث لم تأت الكلمة βαπτισομένων والتي تعني ”الذين نالوا المعموديّة“ أي أن تكون المسحة لاحقة للمعموديّة.

ويقول يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م):

[... بعد هذا وفي ظلام اللّيل، ينزع (الكاهن) عنك رداءك كما لو كان يقودك إلى السّماء ذاتها عن طريق الطّقس، ليدهن جسدك كلّ بزيت الزّيّتون الرّوحي، لكي تتقوى كلّ أطرافك ولا تنهزم من السّهام التي يوجّهها نحوك المعاند ...] (تعليم المعموديّة ٢: ٢٤).

وطبقاً لما ذكره القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) فإنّ طالب المعموديّة الذي خلع ملبسه كان يقبل الدهن بهذا الزّيّت على كلّ جسده من هامة رأسه إلى أخمص قدميه. فيقول:

[يخلعون ثيابهم، ويدهنون بالزّيّت من قمّة الرأس إلى أسفل. والمشترون يصبحون زيتونة مغروسة في يسوع المسيح.

بعد أن قُطِعوا من الزيتونة البرية، طعموا في الزيتونة الجيدة<sup>(١٢)</sup>.

### معنى المسح بزيت الغاليلاون قبل النزول إلى مياه المعمودية

يشير الذهن بهذا الزيت، إلى الطيب الذي دهنت به المرأة جسد الرب يسوع لتكفينه (متى ٢٦: ١٢)، وأيضاً إلى ما عمله يوسف ونيقوديموس لتكفين جسد الرب بالأطياب قبل دفنه في القبر (يوحنا ١٩: ٣٨ - ٤٢).

ولقد أتفقت أقدم النصوص التي ذكرت المسح بزيت يسبق المعمودية، على أنه للتقديس، وخلص النفس، وغفران الخطايا، ورد العدو عن كل إنسان يدهن به.

وأتفقت التقاليد القبطية والسريانية والتقليد القديم لكنيسة أورشليم على أنه الغرس في الزيتونة الجديدة، وأنه سلاح ضد كل أعمال العدو الشيطان. أما التقليد البيزنطي فلم يُقدّم معنى واضحاً للذهن بهذا الزيت، سوى كونه لشفاء النفس والجسد على وجه العموم.

ولقد انفرد التقليد القبطي دون سواه بتقديم أعمق معنى لهذا المسح بالزيت قبل النزول إلى مياه المعمودية، على أنه "تجديد" للنفس والجسد والروح، باستعلان يسوع المسيح بواسطة هذه المسحة، كي يُزيل كل أثر للخطيئة، وكل تشويش سببه الشيطان لهذه الحلقة، مانحاً الغفران بنعمته الخاصة. ولقد عبّر عن هذا المعنى البديع، صلاة خاصة بمسح المعمدين الجسد بالزيت، وردت في خولاجي القديس سرايون أسقف توميس (القرن الرابع) وهي الصلاة التي تقول:

"أيها السيد محب البشر، ومحب النفس<sup>(١٣)</sup>، الرؤوف الرحوم<sup>(١٤)</sup>، يا إله الحق<sup>(١٥)</sup>، نتضرّع إليك واثقين بمواعيد ابنك الوحيد الذي قال «من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم»<sup>(١٦)</sup> فدهن بهذا الزيت المتقدمين والمتقدمات لهذا الميلاد الإلهي الجديد. نطلب لكي يمنحهم ربنا يسوع المسيح به قوة شافية ومثبتة، لكي يُستعلن الزيت ويشفي من نفوسهم وأجسادهم وأرواحهم كل أثر للخطيئة والإثم أو سبب شيطاني، وأن يمنحهم المغفرة بنعمته الخاصة، حتى بعد أن يتعدوا<sup>(١٧)</sup> عن الخطيئة يحيوا في البر. ولكيما يتجددوا بواسطة هذه المسحة، ويتطهروا بالحميم<sup>(١٨)</sup>، فيستطيعوا أن يقهروا سائر القوآت المهاجمة والمعاندة لهم، وخذاعات هذه الحياة. ولكي يرتبطوا متحدّين بقطيع ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، ويرثوا المواعيد<sup>(١٩)</sup> مع القديسين. لأنّ به لك الحمد والقدرة في الروح القدس إلى كل أباد الدهور آمين".

### الذهن بزيت الغاليلاون في الطقس القبطي

وفي الطقس القبطي، وبحسب تعليمات كتاب المعمودية نقرأ الآتي:  
يأخذ الكاهن الزيت المقدس (الغاليلاون)، ويدهن به الذي يعتمد في قلبه، وذراعيه، وقدام قلبه إلى خلف، ووسط يديه، بعلامة الصليب قائلاً:

"أدهنك يا (فلان) بذهن الفرح، مضاداً لكل أفعال المضاد. تُغرس في شجرة الزيتون اللذيذة، في كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية آمين".  
فيقول الشمّاس: آمين.

<sup>12</sup> DACL, t. 2, p. 278

<sup>١٣</sup> الحكمة ١١: ٢٦

<sup>١٤</sup> مزمور ٨٥: ١٥

<sup>١٥</sup> مزمور ٣٠: ٦

<sup>١٦</sup> يوحنا ٢٠: ٢٣

<sup>١٧</sup> الفعل ἀπογένομαι = يتعد - يموت - لا يشترك في.

<sup>١٨</sup> تيطس ٣: ٥

<sup>١٩</sup> عبرانيين ١٢: ٦، ١١: ٩

وهو نفس ما يذكره ابن كبر (١٣٢٤م) في القرن الرابع عشر الميلادي، ومخطوطات أخرى، والتي تتفق على أن المسح بزيت الغاليلاون هو في ستة أجزاء من جسم المعمد، أي قلبه وذراعيه وظهره وكفّيه. أمّا البابا غبريال الخامس فهو أول من أشار إلى وجود ستة وثلاثين رشماً بزيت الغاليلاون.

ونلاحظ هنا، أن كتاب المعمودية يميل في تعليماته الطقسية بخصوص مراسيم المعمودية إلى ما ذكره القس أبو البركات بن كبر (١٣٢٤م)، خلافاً لما ذكره البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) في كتابه "الترتيب الطقسي".

فالرشم في ٣٦ موضعاً من جسد المعمد، هو تقليد قبلي لا تعرفه الكنائس الأخرى، ويظن أنه ذات أصول فرعونية انتقلت إلى الطقس القبلي، حيث كان يُظن قديماً أن الروح النجس يمكنه الدخول إلى جسم الإنسان من ٣٦ منفذاً في جسمه. وهو ما ساعدوا إليه عند الحديث عن المسح بزيت الميرون المقدس.

والرشم بهذا الزيت في التقليد البيزنطي يكون تسعة رشومات، وفي التقليد السرياني ومعه الماروني، يكون بالرشم على الجبهة باسم التألوث ثلاث مرّات. وهذه المسحة السابقة للمعمودية صارت موضوع جدال عنيف بين عدد من اللاهوتيين الغربيين، بسبب غياب الإشارة إلى آية مسحة بالزيت بعد المعمودية في التقليد الأنطاكي القديم. ويقول كتاب "الدسقولية - تعاليم الرسل" الذي يشير بوضوح لمعمودية النساء عندما يتقبلن الدهن بالزيت لحظة نزول الماء، فيقول: إن الأسقف يبدأ بدهن الموعظة المرأة برشم الصليب على الجبهة ثلاث مرّات، ثم يترك للكهنه - أو للشمامسات حسب جنس المعمد - مهمة تكميل دهن الجسد كله.

وفي نهاية القرن الثاني عشر، أدرج البطريرك ميخائيل السرياني (١١٩٩م) الذائع الصيت في كتاب "الطقس الكهنوتي"، إشارة تختص بخدمة الشمامسات، أوضح فيها أن خدمتهن في المعمودية لم تعد لازمة، لأن العماد يُمنح لأشخاص في سن مبكرة، ولم يعد الاحتياج إلى الشمامسات لعدم وجود نساء بالغات يُعمدن. إلا أنه يذكر أن الأسقف يستطيع أن يكرس شمامسة عند اللزوم إن احتاج لخدمتها<sup>(٢٠)</sup>.

ويحتفظ الطقس القبلي فقط دون سواه، بصلوات مطولة يصلها الكاهن على المعمد بعد أن يضع يده عليه للمرة الثانية. وقد جمعت فيها تقريباً كل المفاعيل التي تبغي الكنيسة المقدسة نقلها إلى المقبلين للسر المقدس.

"... أنقذ أيضاً جبلتك هؤلاء من عبودية العدو. اقبلهم في ملكوتك. افتح أعين قلوبهم ليستضيئوا بضياء إنجيل ملكوتك. ولتصحب حياتهم ملائكة الثور، ليخلصوهم من كل مؤامرة، ومن المصادفة الرديئة، ومن سهم طائر في النهار، ومن شيطان الظهيرة، ومما يسلك في الظلمة، ومن خيال الليل. انزع من قلوبهم كل الأرواح النجسة، الروح الخبيث الذي يُقلق قلوبهم، وروح الضلالة وكل خبث، روح محبة الفضة، وعبادة الأوثان، روح الكذب، وكل نجاسة تُصنع، كتعليم إبليس. اجعلهم خرافاً للقطيع المقدس الذي لمسيحك، أعضاء نقيّة للكنيسة الجامعة، أواني طاهرة، أبناء الثور، وارثين للملكوت، لكي يجاهدوا كوصايا المسيح، ويجرسوا الخاتم من أي سارق، ويحفظوا اللباس بغير اضمحلال، ويفوزوا بطوباوية أصفياك بالمسيح يسوع ربنا، هذا الذي من قبله يليق بك معه ومع الروح القدس الجدد والإكرام... الخ"<sup>(٢١)</sup>.

لقد كانت مراسيم جحد الشيطان والاعتراف بالمسيح والإقرار بالإيمان، مراسيم ذات أهمية قصوى. وبحسب الطقس القبلي القديم، قبل القرن الرابع الميلادي، كان الموعوظ يمارس طقس الجحد La renonciation ويعقب ذلك، المسح بالزيت L'onction وهو زيت الغاليلاون، وذلك خارجاً عن حجرة المعمودية Baptistère. أمّا في داخل حجرة المعمودية، فكان الموعوظ يمارس طقس الاعتراف بالمسيح، والإقرار بالإيمان، والتغطيس في مياه المعمودية، وذلك بمباشرة الأسقف أو الكاهن، ومساعدة

<sup>20</sup> DACL, t. 2, p. 280, 281.

<sup>21</sup> صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مرجع سابق، ص ٣٦

الشَّمامسة. ولكن بعد منتصف القرن الرَّابع الميلادي تقريباً، أصبح الدَّهن بزيت الاستحلاف - أو الغاليلاون - يأتي بعد الاعتراف بالمسيح، والإقرار بالإيمان. هذا من جهة انتقال موقع الدَّهن بزيت الاستحلاف.

ولكن من جهة أُخرى، ففي النِّصف الثَّاني من القرن الرَّابع الميلادي - وبالذات في كنيسة مصر - طرأ تعديل أيضاً على موقع قُدَّاس المعموديَّة، إذ سرعان ما احتل قُدَّاس المعموديَّة مكانه الذي نعرفه الآن في كُتُب الطَّقُس القبطيَّة والإثيوبيَّة. فصار سابقاً مباشرة قبل التَّغطيس في مياه المعموديَّة، وبعد الجحد والاعتراف بالمسيح والإقرار بالإيمان. وهو التَّرتيب الذي عرفناه من إجابة للبابا الإسكندري تيموثاوس الأوَّل (٣٨٠-٣٨٥م) على سؤال بخصوص المعموديَّة، فذكر أننا نبدأ بجحد الشيطان والطَّقوس المرتبطة به (أي الاعتراف بالمسيح والإقرار بالثالوث)، ثم ندخل إلى حجرة المعموديَّة فنبارك المياه، ثم نعمد. وكذلك في الكتابات المنسوبة لديونيسيوس الأريوباغي (القرن الخامس الميلادي). كما نجد نفس هذا التَّرتيب مرعياً في القرن السَّادس الميلادي في المخطوط الذي نشره العالم الليتورجي بومستارك A. Baumestark سنة ١٩٠١م<sup>(٢٢)</sup>.

وهكذا بعد أن انتقل قُدَّاس تقديس مياه المعموديَّة ليُصبح فاصلاً بين الجحد وإعلان الإيمان من جهة، وبين الغطسات الثَّلاث من جهة أُخرى، انحصر فعل المعموديَّة الرَّئيسي في الغطسات الثَّلاث، لتحتل هذه الأخيرة مكاناً متميِّزاً بين مراسيم طقوس المعموديَّة، وتقلَّصت - إلى حدِّ ما - مراسيم طقوس جحد الشيطان والاعتراف بالإيمان والدَّهن بزيت الاستقسام. ولم يكن ذلك هو الوضع القديم، والذي فيه كانت مراسيم الجحد وإعلان الإيمان ذا أهميَّة قُصوى.

<sup>22</sup> Baumstark, *Dans oriens christianus*, 1901, t. 1, p. 35- 41, 39 ; Cf. also, *DACL*, t. 2, p. 266.